ردمد: ٤٥٨٦-٢٥٢١

الخزانة

مجلة علمية نصف سنوية تعنى بالتراث المخطوط والوثائق

تصدر عن مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

العدد الثالث، السنة الثانية، شعبان ١٤٣٩هـ/ آيار ٢٠١٨م

وصف تحليلي لوثائق من الأرشيف العثمانيّ تخصُّ مدينة عقرة في كوردستان العراق

Analytical description of manuscripts from the Ottoman archives belonging to the city of Aqra in Kurdistan Iraq

الأستاذ المساعد الدكتور قصي منصور عبدالكريم

كلية العلوم والتربية الأساسية بعقرة / جامعة دهوك

العراق

Prof. Assit. Dr. Qusay Mansor Abdulkarim

University of Duhok

College of Sciences and Basic Education in Aqrah

Iraq

الملخّص

لا شكَّ في أنَّ الوثائق باختلاف أنواعها وموضوعاتها تُعدُّ أحد أهم مصادر دراسة الموضوعات ما؛ كونها تشتمل على معلومات فريدة قد لا نجدها في مصادر أخرى، وبخاصة عندما تكون تلك الوثائق عبارة عن مخاطبات رسمية توثّق قضايا وأحداثاً مختلفة، وهنا تكمن أهميتها.

يحوي الأرشيف العثمانيّ في إسطنبول مئات الآلاف من المخطوطات والوثائق، وهو جزء من أرشيف الدولة العثمانية على مدى أكثر من أربعة قرون، وقد وفِّق الباحث للحصول على مجموعة من الوثائق التي تعود إلى العصر العثمانيّ الأخير تخصّ مدينة عقرة، القضاء الذي كان يتبع في أثناء العهد العثماني الأخير لواء الموصل، أمّا الآن فإنّه قضاء تابع إدارياً لمحافظة دهوك في كوردستان العراق.

وعمد الباحث في هذا البحث إلى عرض تلك الوثائق وتحليل محتواها، وخرج منها بمجموعة من الحقائق الحضارية لمدينة عقرة؛ منها أنّه كان يقطنها سكّان من مختلف الطوائف كالكلدان المسيحيين، يتعايشون بسلامٍ مع إخوانهم في المدينة من المسلمين وغيرهم من الديانات، كما أفصحت هذه الوثائق عن دقّة التنظيمات الإداريّة في الدولة العثمانية وعائديّة مؤسّساتها وارتباطها، وأيضاً كشفت عن إحصائيّات وبيانات ومعطيات الرسوم والضرائب التي كانت تُدفع من قبل السكّان لتصل إلى خزينة الدولة، وغير ذلك من المعلومات المهمّة عن هذه المدينة التاريخية.

Abstract

No doubt that the documents of different types and subjects is one of the most important sources to study a subject as they include unique information that we may not find in other sources, especially when those documents are official letters documenting different issues and events, and here lies their importance. The Ottoman archive in Istanbul contains hundreds of thousands of manuscripts and document. It is part of the archives of the Ottoman Empire for more than four centuries

The researcher obtained a collection of documents dating back to the last Ottoman era belong to the city of Aqrah, the district which was followed to Mosul during the last Ottoman period, but now it is administratively followed to Dohuk province in Kurdistan Iraq.

Intentionally, the researcher shows these documents and the analysis of their contents to come out of sets of civilizational facts about Aqrah. It was inhabited by people of different denominations of the Christian Chaldeans who coexisted peacefully with their Muslim brothers in the city and other religions. These documents also revealed the accuracy of administrative regulations in the Ottoman Empire and its institutions.

They also revealed the statistics and data of fees and taxes that were paid by the people to reach the state treasury, and other important information about this historic city.

المقدّمة

يحوي الأرشيف العثمانيّ في مبناه الجديد بالعاصمة إسطنبول مئات الآلاف من المخطوطات والوثائق التي تعدّ أرشيف الدولة العثمانية على مدى أكثر من أربعة قرون، وما يهمُّنا من هذا الأرشيف الحصول على نماذج محدّدةٍ من الوثائق التي تعود الى العصر العثمانيّ الأخير تخصُّ مدينة عقرة؛ القضاء الذي كان يتبع خلال العهد العثمانيّ الاخير لواء الموصل، أمّا الآن فإنّه قضاءٌ تابع إدارياً لمحافظة دهوك في كوردستان العراق.

وفي زيارةٍ شخصية إلى مبنى الأرشيف العثمانيّ بإسطنبول تمكّن الباحثُ من الحصولِ على عددٍ من الوثائق التي سيتمُّ عرضها وتحليلها بشكلٍ عام.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أنّه يعرّج على طبيعة الوثائق المحفوظة في الأرشيف العثمانيّ؛ والتي تهمُّ جميع مدن العراق التاريخية بشكلٍ عام خلال العهد العثمانيّ الأخير، ومدينة عقرة التاريخية والتراثية بشكلٍ خاص، وإجمالاً فإنَّ الباحث في محتوى الوثائق يجدُ تشابهاً كبيراً في لغة الخطِّ المستخدم في كتابة مخطوطات العهد العثمانيّ ونوعه، إضافةً إلى تكرار بعض الجوانب والمواضيع التي تتناولها المخطوطات، وعلى هذا الأساس فإنّ الراغب في دراسة تاريخ مدينةٍ تاريخية من مدن العراق خلال العهد العثمانيّ وتحليله سوف يجد تجربةً سابقة من خلال اطّلاعه على موضوع الوصف التحليلي لمخطوطاتٍ من الأرشيف العثمانيّ لمدينة عقرة خلال العهد العثمانيّ الأخير.

عناصر الموضوع:

سيتمُّ التطرُّق إلى جملةٍ من العناصر والأسس المتَّبعة في تحليل المخطوطات ووصفها، وقبل ذلك سنقدِّم دراسةً شاملةً عن موقع مدينة عقرة ومكانتها، ثم ستتناول الدراسة شرحاً وافياً لنماذج من المخطوطات، وطبيعة الحصول على الوثائق والتعامل مع الإدارة الخاصة بالأرشيف العثمانيّ بإسطنبول، لغرض إتاحة الفرصة للمهتمين بالحصول على مخطوطاتٍ لمدنٍ ومواضيعَ أخرى يمكن أنْ تسهم في رفد التاريخ الحضاريّ لمدننا

الشامخة خلال مدّةٍ زمنيةٍ محدّدةٍ، وهي مدّة العهد العثمانيّ الأخير؛ لذا ستكون ورقتنا -فضلاً عن المقدمة- بالشكل الآتي:

- تمهيد جغرافيّ وتاريخيّ عن مدينة عقرة.
- عرض خمسة نماذج من الوثائق التي تُدرس لأول مرة.
- الخاتمة.

المبحث الأول
تمهيد جغرافي وتاريخي عن مدينة عقرة

قضاء عقرة بما فيه من أماكن ومواقع سياحية تقع في الحدود الإدارية للمدينة؛ التي تضمُّ مواقع أثريةً ودينيةً وترفيهيةً داخل المدينة (القلعة) وخارج مركز المدينة والضواحي القريبة في ضمن حدود محافظة دهوك في كوردستان العراق(انظر الخارطة رقم ١).

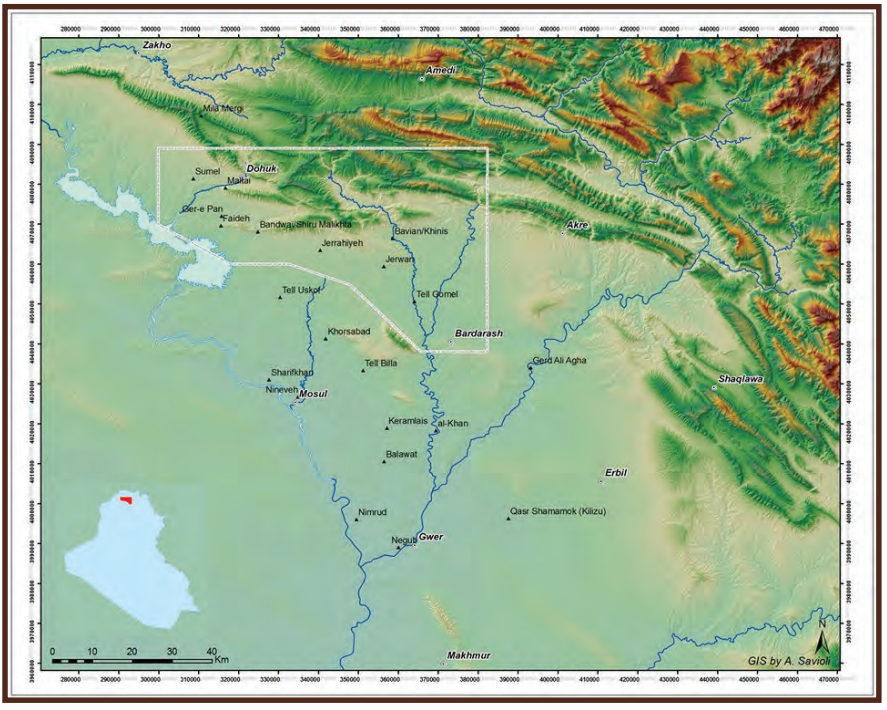

خارطة رقم (١) طوبوغرافية موقع مدينة عقرة والمنطقة الواسعة المحيطة بها.[1]

(1) Upper Greater Zab Archaeological Reconnaissance Project Season 2013 = (UGZAR)

١. تاريخ مدينة عقرة العتيق:

من المعروف لدى المختصِّين في الدراسات الاركيولوجية والانثروبولوجية أنّ مدينة عقرة تتمتع بتاريخٍ مُوغل في القدم يتجاوز العصور التاريخية، وربّما إلى العصر الطباشيريّ؛ إذ تشير أدلة المستحثات والمتحجرات الحيوانية المكتَشَفة في مدينة عقرة - ومنها أصداف متكلّسة لحيواناتٍ مائية بأشكال هندسيةٍ جميلة[١] (انظر شكل رقم ١)- إلى أنّ هذه المكتشَفات المتحجِّرة تعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وهذا يؤكد أنّ مدينة عقرة كانت من بين المناطق التي غمرتها مياه البحر الكبير المسمّى بحر (تيثيس) منذ أكثر من أربعمائة مليون سنةٍ مضت، بل تشير المصادر ذاتها إلى أنّ أول المناطق التي ظهرت للوجود بعد عملية الغمر هي مرتفعات مدينة عقرة.[٢]

شكل رقم (١) بعض المتحجّرات لقواقع وأصداف وحيوانات بحرية مختلفة اكتُشفت في مدينة عقرة[٣].

(١) عاشت وهلكت ثم صارت نفطاً، شفيق مهدي: ١٨.

(٢) دليل ئاكري السياحيّ: فائق أبو زيد سليم ئاكره يى: ١٠.

(٣) نقلًا عن:
دليل ئاكرى السياحيّ: فائق أبو زيد سليم ئاكره يى: ١١.

وقد أثبتت المسوحات الحديثة ومنها مشروع المسح المسمى (UGZAR)؛ الذي قامت به مجموعة من الخبراء من معاهد ومؤسسات دراسية وبحثية لجامعاتٍ متعدّدة من دولة (بولونيا) بقيادة البروفيسور(رافال كولينسكي) (Rafał Koliński)[١] أنّ مدينة عقرة وضواحيها تعجُّ بمئات المواقع الأثرية التي سكنها الإنسان القديم أو استعملها في مواسم معينة. بيد أنّ التاريخ الحقيقيّ الذي يمكن الحديث عنه باعتبار مدينة عقرة آهلةً بالسكان وتمتُّعها بطبيعةٍ سياحية خلّابة يعود إلى زمن العصور الآشورية الأولى من تاريخ بلاد الرافدين، مع بداية الألف الثالث والثاني قبل الميلاد، ثمّ بمرور المدينة بحُقب تاريخ العصور الكلاسيكية وتاريخ ما قبل الإسلام ومدّة الإمارات الكوردية خلال التاريخ الإسلاميّ لتصل دورة الحياة التاريخية في مدينة عقرة إلى زمن التاريخ الحديث والمعاصر، باعتبارها واحدةً من بين أهم مدن إقليم كوردستان العراق الأثرية والتاريخية.

٢. التضاريس الطبيعية:

لقد حظيت مدينة عقرة بتضاريس متنوّعة مع انبساط سهولها وخصوبة أوديتها، إضافةً إلى سلاسل المرتفعات الجبلية، بل إنّ مدينة عقرة تتميز بارتفاع أبنية بيوتها الشاهقة في شكل قلعةٍ حصينة طبيعية، وصفها المؤرّخون وكأنّها (مدرج روماني)[٢]؛ بسبب تكوّنها من عدّة طبقاتٍ بعضها فوق بعض (انظر صورة رقم١)

(١) تعدّ أعمال المسح الأثريّ الذي اعتمدنا عليه في دراستنا هذه للموسم الثاني في ضمن مشروع UGZAR؛ والذي يُعنى بـ (تاريخ كردستان العراق)، وقد بدأ المشروع في ٢٣ سبتمبر من عام ٢٠١٣م، وركّز البرنامج في مجاله العام على الجزء الغربي من المنطقة الأولى، التي شملتها الدراسة منذ عام ٢٠١٢م من قبل الفريق الإقليميّ لنينوى من جامعة أوديني، إيطاليا. والمشروع الحالي يخصُّ مسح مناطق في ضمن حدود مدينة عقرة ومناطق على طول جبال عقرة وحدّها الغربيّ، من خلال فريقٍ ميدانيّ بقيادة البروفيسور رافال كولينسكي(معهد عصور ما قبل التاريخ، جامعة آدم ميكيفيتش) Institute of Prehistory- Adam Mickiewicz University وللمزيد من المعلومات حول نتائج المسح يمكن مراجعة التقرير المنشور في الموقع الرسميّ الآتي:
http://archeo.amu.edu.pl/ugzar/indexen.htm

(٢) العراق قديماً وحديثاً: السيّد عبدالرزاق الحسنيّ: ٢٦٤.

صورة (رقم ١) منظر عام للبيوت المتراكمة فوق بعضها البعض في قلعة عقرة

كما أنَّ تدرّج ارتفاع السلاسل الجبلية التي بُنيت على قممها وسفوحها في أغلب الأحياء القديمة والحديثة تعطي لوحةً فنية متجانسة في أغلب فصول السنة بألوانٍ زاهية، لاسيّما وأنّ بساتينها تجود بأصناف الفواكه والخضروات وأنواع الحبوب. ومن أشهر المرتفعات الجبلية التي من خلال أسمائها باللغة الكوردية نعرف أنّها مرتفعات جبلية- إذ إنّ كلمة (الراس) أو (القمة) هو المقطع الأول لأغلب أسماء هذه المرتفعات- مثل جبل عقرة (سه رى ئاكره ى)، جبل بيرس(سه رى بيه رس)، جبل سادا (سه رى سادا)، جبل زنديك (سه رى زه نديک)، جبل شوش (سه رى شوش)، جبل القلعة (سه رى گـه لى) ... إلخ من المرتفعات الجبلية المتعدّدة.

٣. مدينة عقرة في المصادر التاريخية:

لقد تناولت المصادر الأصلية ذكر أهم قلاع عقرة وحصونها باعتبارها واحدةً من أهم بلدان العالم الإسلاميّ؛ إذ ذكر صاحب معجم البلدان كلًّا من قلعة عقرة وحصن

الشوشعلى، باعتبار أنّ في عقرة قلعةً حصينةً تقع في جبال الموصل الشرقية، ولأنّها كانت مركزاً للأكراد الحميدية، نُسبت إليهم وسُمّيت (عقر الحميدية)، ويتبعها حصن يُدعى (الشوش)؛ وهو قلعة عظيمة أيضاً[١]. وذكرت المصادر ذاتها أنّ ما يحيط بكلٍّ من هاتين القلعتين من أراضٍ وأعمال زراعية غزيرة الإنتاج، يكفي لأن يُجبى منها سنوياً شتّى أنواع الحبوب كالرز، إضافةً إلى القصب والأخشاب، كما تنتشر في أنحائها قرى مثل (الغيضة)، (وجوجر) التي ينسب إليها الرز الفاخر، و(خلبتا) القريبة من الشوش، المعروفة بمناخها المعتدل وخصوبة تربتها ووفرة مياهها وكثرة البساتين فيها.[٢]

أ. أهمية مدينة عقرة عند الآشوريين وأصل تسميتها:

إنّ التاريخ الحقيقيّ الذي يمكن الحديث عنه باعتبار مدينة عقرة آهلةً بالسكان يعود إلى حقب العصور الآشورية الأولى من تاريخ بلاد الرافدين، مع بداية الألف الثالث والثاني قبل الميلاد، وقد اجتذبت منطقة عقرة نظرَ ملوك بلاد الرافدين وحكّامها القدماء؛ نظراً لما تتمتّع به من غنى في الموقع الجغرافيّ، وأهميتها كونها ترقد على خزينٍ من الثروات الطبيعية ومصادر المياه العذبة والأخشاب والأشجار حتى بعض المعادن، والمروج التي تحوي كلّ أصناف المحاصيل الزراعية والثمار والفاكهة والغلّة، فضلاً عن أهمية موقعها الاستراتيجيّ؛ الذي عُدَّ معبراً شمالياً لانطلاق حملات بعض الملوك الآشوريين باتجاهين؛ شماليّ شرقيّ إلى مناطق السوبارتيين واللولو وغيرهم، أو باتجاه شماليّ غربيّ نحو الأورارتيين والحثيين والآراميين؛ لذا نجدهم أولَوها من العناية الكبيرة ما نلمسه في نصوصهم المسمارية ذات العلاقة بمنطقة عقرة.[٣]

وبقدر تعلّق الأمر بموضوع دراستي، فإنني أجد أنّ عدداً لا بأس به من المواقع العائدة لمنطقة عقرة قد جاء ذكرها في المصادر المسمارية، ومن أهمها مركز المدينة القديمة عقرة نفسها التي ورد اسمها في النصوص المسمارية بصيغة (كرُبائيل Kurba'il)

(١) ينظر: معجم البلدان: ياقوت الحمويّ: ٣٣٤/٣، ٦٩٦.

(٢) ينظر: معجم البلدان: ٢/ ١٤٣.

(٣) ينظر: بعض المواقع الجغرافية لمنطقة عقرة ومحيطها في ضوء المصادر المسمارية بالعصور الآشورية: عامر الجميليّ: ١.

باعتبارها عاصمةَ مقاطعة تعود إلى العصر الآشوريّ الوسيط، وقد أصبحت مركز محافظة خلال العصر الآشـوريّ الحديث الذي ذُكرت مراراً في نصوصه، ومن بينها النصوص المُكتشَفة في مدينة كلخو (نمرود) وغيرها.[١] وتشير المصادر الكتابية المختصة إلى أنّ كُربائيل كانت تقع على الطريق الشماليّ الشرقيّ عبر نهل الكومل، والمعروف أنّ هذا النهر اليوم يمرّ قريباً من مدينة عقرة[٢].

وتخبرنا نصوص العصر الآشوريّ الحديث أنّ كُربائيل كانت مدينة الإله أدد (إله المناخ والطقس والرعد) في اعتقاد العراقيين القدماء، الذي كرّس له الملك شلمنصر الثالث تمثاله المكتشَف في نمرود، وقد نقش على هذا التمثال نصّاً آشورياً موجّهاً إلى أدد كُربائيل[٣].

ويفصِّل المختصّون بتحديد المواقع الجغرافية القديمة وأسمائها صيغة مدينة (كُربائيل Kurba'il) في اللغة الأكدية على النحو الآتي: قربان الإله، أو صلاة الإله، وهي مشتقة من لفظين: الأول من المصدر الأول كرابو Karabu: (يمجد، يبارك، يكرس، يقدّم قرباناً، يصون، يحفظ الإله) و: إيل il: (إله)[٤].

في حين يعني أصل تسميتها الحالية (عقرة)- فهي صيغة آرامية سريانية- أصل كلّ شيء، أصل النبات (الجذر)، لحف الجبل (أسفله)، عقاراً يرتفع عن الأرض، ذراعاً يشبه الباقلاء زهره أحمر، ينسبون إليه خواصَّ عجيبةً طيّبة وسحرية، معدن الذهب والملح ونحوهما[٥].

(١) ينظر: بعض المواقع الجغرافية لمنطقة عقرة ومحيطها في ضوء المصادر المسمارية بالعصور الآشورية: ٢.

(٢) ينظر: مدن قديمة ومواقع أثرية- دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي: حنون نائل: ١٩٩- ٢٠١.

(٣) ينظر: مدن قديمة ومواقع أثرية- دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي: ٢٠١.

(٤) ينظر: بعض المواقع الجغرافية لمنطقة عقرة ومحيطها في ضوء المصادر المسمارية بالعصور الآشورية: ٣.

(٥) ينظر: قاموس كلدانيّ- عربيّ: أوجين منّا: ٤٧٥. ينظر كذلك: روض العلم- معجم عربيّ- سريانيّ: بنيامين حداد: ٢/ ٧٣١. نقلاً عن: بعض المواقع الجغرافية لمنطقة عقرة ومحيطها: ٣.

ب. أهم المعالم التاريخية في مدينة عقرة:

تعدّ أبنية قلعة عقرة وسطحها مقصداً سياحياً، إذ يشكّل منظراً غايةً في الجمال؛ فيجد الزائر متعةً في مشاهدة مدرجات أبنية المنازل الجميلة المعلّقة التي تبدو في المساء للناظرين لها وكأنّها نجومٌ متلألئة في السماء. وأذكر في هذا الصدد ما قاله وزير البلديات والسياحة السابق عندما وصف مدينة عقرة بموقعها هذا بقوله: «صورة ئاكري عالقة في ذاكرتي كمدينةٍ معلّقة من السماء بفنِّها المعماريّ وبيوتها المبنية فوق بعض كعنقود عنب»[١]، وتضيف البساتين الوفيرة بالخيرات ومن خلالها عيون الماء والينابيع والشلالات، فضلاً عن بعض المزارات الدينية والمساجد العريقة والكنائس القديمة، أهميةً تاريخيةً ومقصداً سياحياً جذّاباً، بخاصةٍ مع وجود منتزهاتٍ حديثة ذات خدمات سياحة متميزة؛ من إيواءٍ ومطاعم ومقاهي وغيرها من الأماكن المطلّة على مناظر جميلةٍ وفريدة لمدينة عقرة.

ويوجد في مدينة عقرة عددٌ من الأودية الخضراء ذات الطبيعة الساحرة؛ ومن أشهرها (وادي شيخ عبدالعزيز، وادي زنطة، وادي نهلة، وادي سيل «گه لی سیلی»، وادي زيبار... إلخ). أمّا أهم معلَمٍ تاريخي في عقرة فهو: (قلعة عقرة).

قلعة عقرة:

تحتل قلعة عقرة مساحةً واسعةً من قمة جبل عقرة، وقد نقرت أجزاء منها في الجبل نفسه على هيأة حجراتٍ وممرات وسلالم، تعود إلى عهودٍ قديمة، و تضمّ منشآت كثيرةً تتضمّن قاعات منقورةً في الصخر وحفراً وأحواضاً، وقد ذكر المختصّون أنّ هذه الأجزاء كانت تمثل تجمّعاً ديرياً يعقوبياً؛ بدليل وجود بقايا نحت على بابها يمثّل أفعى تعضُّ ذيلها، وهو شعار اليعاقبة، وهذا النحت وُجد ما يشبهه على جدران أديرةٍ أخرى، هذا فضلاً عن شعاراتٍ ودلائل أخرى.[٢]

لقد تعدّدت المصادر الإسلامية التي تصف قلعة عقرة بشكلٍ واضح وصريح، وقد أبدع

(١) دليل ئاكري السياحي: ٥.

(٢) ينظر: تاريخ الأديرة في منطقة العمادية وعقرة ودهوك: بروين بدري توفيق: ١٢٧.

بخاصة أستاذنا المؤرّخ المعروف عماد عبدالسلام رؤوف (أطال الله عمره) بجمع ما ذكرته تلك المصادر والتعليق عليها؛ إذ ذكر أنّ قلعة عقرة ذُكرت في كتابات (الباليسانيّ)[١] عندما وصفها في رحلاته المشهورة، وقال: « إنّ قلعتها تعدّ من القلاع المشهورة التابعة لولاية العمادية»، وكانت قلعة عقرة الرابضة في قمة جبلها المطل على البلدة في عهد الباليسانيّ مقرَّ حكم أميرها البهدينانيّ، ورمز سلطته، وقد وصف الباليسانيّ مشقّة الصعود إلى هذه القلعة وهو الذي بلغ عمره آنذاك خمساً وأربعين سنة، وكان يتقدّمه في ذلك الصعود المتعب (ملّا طه) خطيب جامع عقرة قائلاً: «فصعدنا تكلّفاً لأنّ الطريق إليه نحو ميل، فمشى هو بنا [و] ربّما في بعض المواضع أضع يدي على الحجارة الكائنة في جانب الطريق خوفاً من الوقوع والسقوط إلى وراء، وهكذا نمشي حصة ونجلس حصة إلى أن قربنا من باب القلعة». وما زال جانب كبير من هذا الطريق قائماً حتى الآن، وهو قد نُقر في الجبل على هيأة السُلَّم، بيد أنّه يخلو في الأصل من سياجٍ يمنع الصاعد من السقوط إلى الوادي إذا ما اختلّ توازنه، على ما أثار خوف الباليسانيّ كما رأينا. وحينما بلغ الباليسانيّ بابها وقف يتأمّل مشهد البلدة في أسفل القلعة، فهاله ارتفاع هذه القلعة وإشرافها على ما حولها فقال: «ونحن جلسنا عند باب القلعة ننظر إلى البلد كأنه ما هو البلد الذي جئنا منه؛ لعلوِّ القلعة نراه بعيداً، فسبحان الخالق المصوّر، لا إله إلّا الله!!».[٢]

(١) وهو الرحّالة طه بن يحيى ابن الأمير سليمان الباليسانيّ الخوشناويّ، الذي زار عقرة وأقام فيها مرتين؛ الأولى في حدود سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م، والثانية في حدود سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م، ينظر: عقرة في رحلة الباليسانيّ الكرديّ: عماد عبد السلام رؤوف: ١.

(٢) عقرة في رحلة الباليسانيّ الكرديّ: ٣.

المبحث الثاني
وثائق من العهد العثمانيّ الأخير عن مدينة عقرة في الأرشيف العثمانيّ

تتناول هذه الدراسة عرض قراءةٍ أوّلية وتحقيقاً لعددٍ من الوثائق المحفوظة في الأرشيف العثمانيّ بإسطنبول؛ التي تعود إلى العهد العثمانيّ الأخير لمدينة (عقرة) شمالي ولاية الموصل العائدة للدولة العثمانيّة آنذاك.

وما سرّني في تجربة البحث عن وثائق في مبنى الأرشيف العثمانيّ الرئيسي ذلك التعاون الأخوي والتواضع المفرط من مدير الأرشيف السيّد (صباح الدين بايرام) ومساعديه، فقد غمروني بحفاوة الاستقبال وفتحوا لي الأبواب من أجل البحث والتقصّي مذلّلين كلّ الصعاب، ولا أدلّ على ذلك ما أرسل مدير الأرشيف نفسه عبر الإيميل بعد مغادرتي إياهم معرباً عن أمله في التعاون واستعداده للمساعدة من جديد، واسمحوا لي أن أدوّن ما وصلني منه بالحرف الواحد دون تغييرٍ، مع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ السيّد (صباح الدين بايرام) لا يجيد اللغة العربية إجادةً تامّة:

«إلى الدكتور قصي التركيّ المحترم:

أولاً أشكر لك لكلماتك في رسالتك فى الئيميل خطاباً لي ولزميلي دورموش. أنا مسرور جداً بتعارفنا في الأرشيف العثمانيّ بإسطنبول.

أرجو منك أن تعرف أن لك أخ في تركيا، و في إمكانك أن تتصل بنا دائماً متى ما تحتاج إلينا. سألت الأستاذ دورمش (مساعد المدير) عن المشروع و هو حضّر بعض النماذج وأرسل لك إن شا اللّه. أتمنى أن تكون جيّدةً للمشروع. أخيراً سأكون أيضاً سعيد بمقابلتك في جامعتكم بدهوك. مع تحياتي».

وعليه من الممكن إدراج نماذج من الوثائق التي حصلت عليها بالصورة والإيجاز لفحواها، مع التعريج قليلاً على محتوى الوثائق:

الوثيقة المرقم (I.MVL.00453):

تاريخ الوثيقة يعود إلى (سنة ١٢٢٥هـ).

تخصّ الوثيقة بدل رسمٍ سنويّ لضريبة عشر من الغنم، وقد كُتبت من قبل السيّد (عبدالفتاح أفندي) من الباب العالي، وقد وجّه كتابه إلى متصرّفي مناطق مثل منطقة بردرش وغيرها من القرى، يذكر في الوثيقة أنّ المبلغ المكتوب الذي من المفترض أنْ يصلَ إلى الخزينة هو (٢٩) ألف قرشٍ، بينما تبيّن أنّ المبلغ فيه نقص مقداره (٢٩١٥) قرشاً، وذكر الموظف أنّه كان من المفترض أن يصل المبلغ كاملاً إلى الخزينة دون نقص.

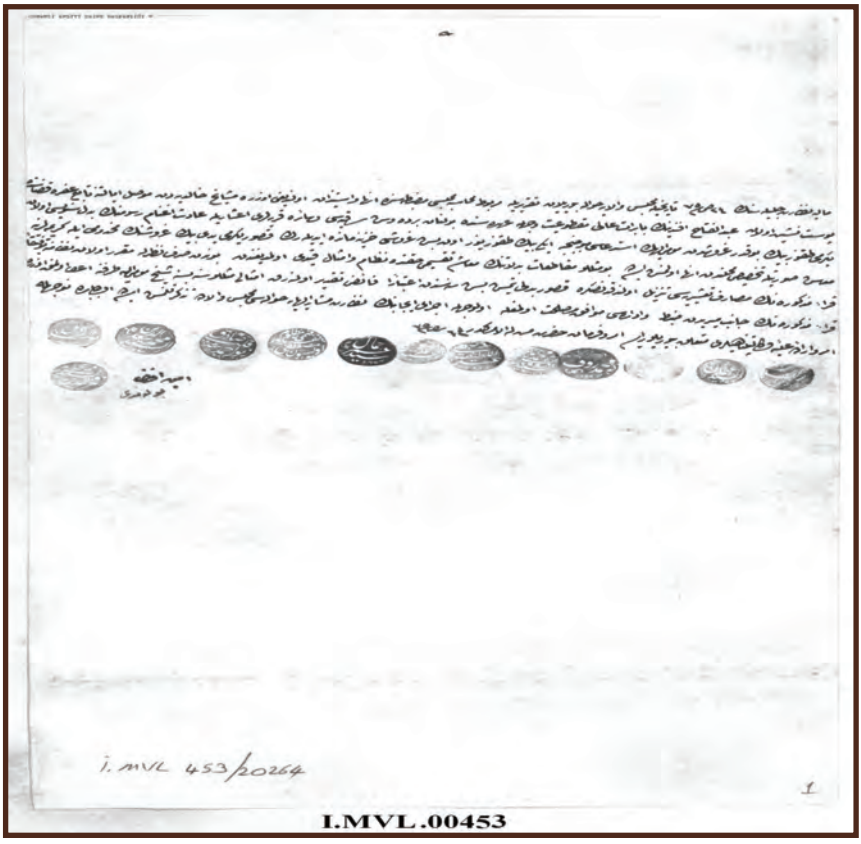

الوثيقة المرقمة (I.DH.00440):

تاريخ الوثيقة يشير إلى (عام ١٢٣٦هـ).

والوثيقة تخصّ تقريراً عن دفع رسوم الأغنام من قبل دائرة المالية في قضاء عقرة والزيبار بمبلغٍ قدره (٢٤) ألف قرشٍ، وفي الوثيقة مغروض (هامش) يشير إلى أنّه يجب استرجاع المبلغ وإيداعه في خزينة مالية الدولة.

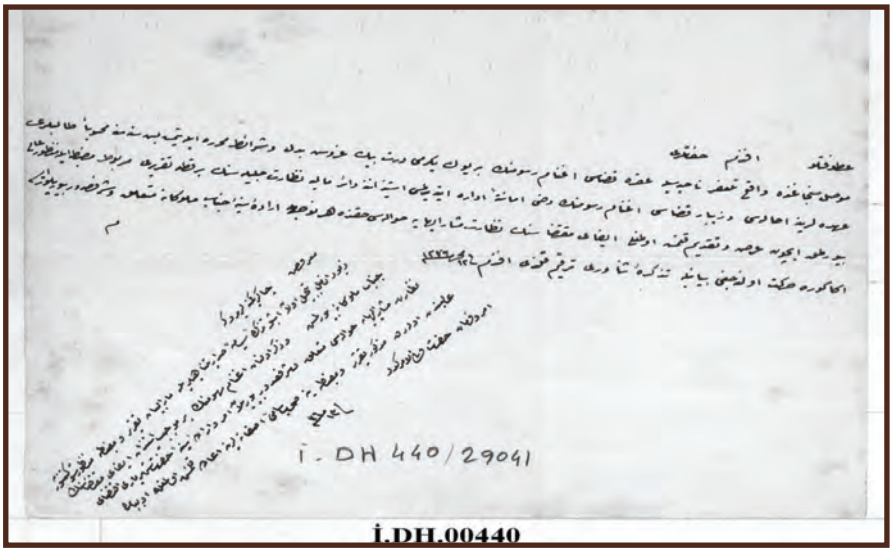

İ.DH.00440

الوثيقة المرقمة (EV.d 13544)

يرجع تاريخ الوثيقة إلى (٤ ذي القعدة من عام ١٢٧٧هـ)، الوثيقة مرسلة من مدينة عقرة في ولاية الموصل آنذاك إلى والي بغداد (نامق باشا)؛ تتعلّق بالحسابات الخاصّة بدفاتر الخزينة ومضابطها عن وصولاتٍ وسندات مالية مرسلة إلى خزينة الدولة، وفيها جردٌ لمصاريف تخصُّ مدينة عقرة، مع بعض الأمور المالية التي دُفعت إلى الخزينة.

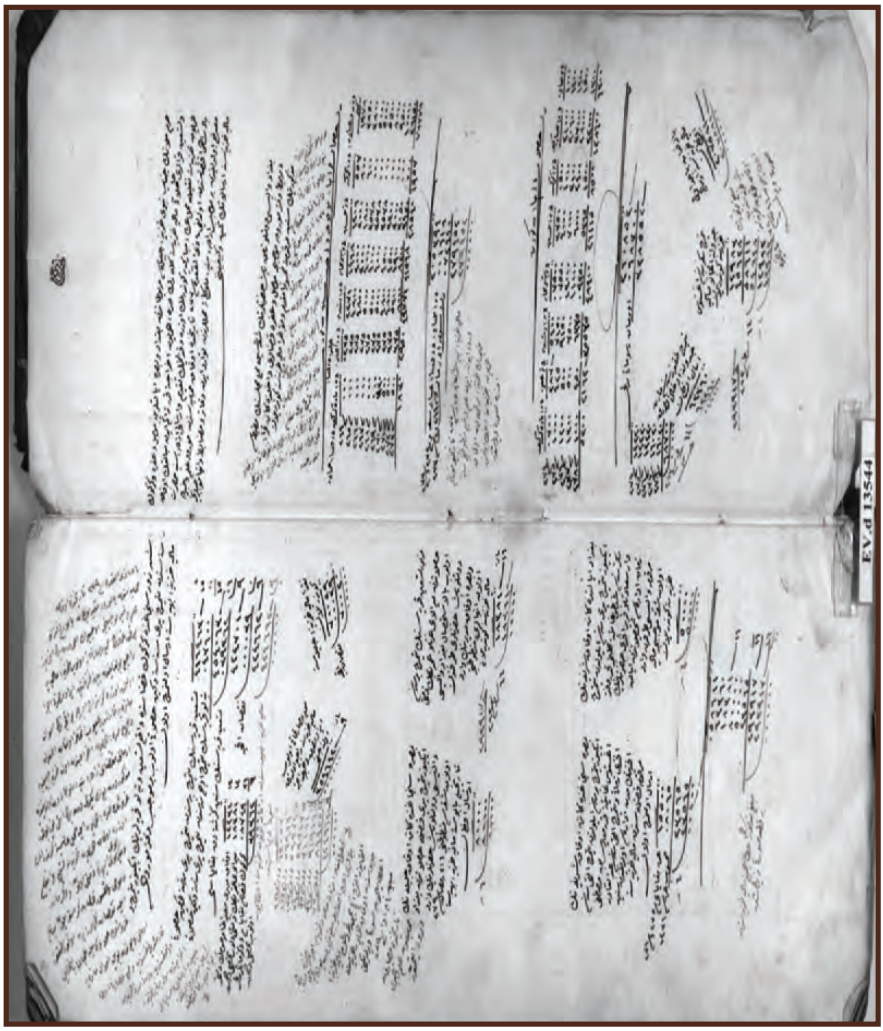

الوثيقة المرقمة (IMMS. 00067):

كُتبت الوثيقة من قبل مجلس الأعيان في مدينة عقرة إلى مركز الولاية في (٢٦ رجب ١٢٩٤هـ).

موضوع الوثيقة يتعلّق ببنايةٍ حكومية في مدينة عقرة التابعة لولاية الموصل، ومن خلال دراسة الوثيقة تبيّن أنّ هناك تأخيراً في العمل بالبناية، ونتيجةً لذلك كُلّف قائمقام مدينة زاخو السابق (عثمان بن مظهر أفندي) بالتحقيق في أسباب التأخير في إنجاز البناية، وكُلّف السيّد القائمقام بتحديد المبلغ المطلوب لإكمال البناية؛ إذ حدّد مبلغاً قدره (٢٠) ألف قرشٍ دُفع من قبل خزينة الدولة وليس من أموال تبرعات المواطنين، وبعد التأخّر في العمل لأسبابٍ معيّنة فقد بقي من المبلغ الكلي (٨٥٢٩) قرشاً فقط. وقد ذُيّلت الوثيقة بأختام أعضاء مجلس الشورى.

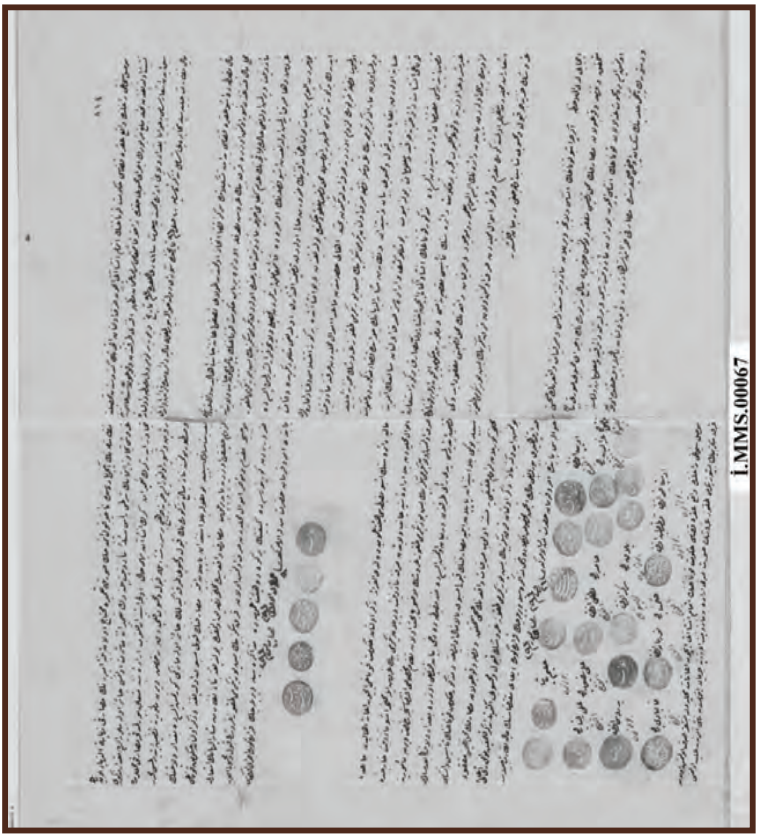

الوثيقة رقم (I.DH.01305):

مؤرّخة في خاتمتها بتاريخ (سنة ١٣٠٦هـ).

موضوع الوثيقة من سجلّ الأحوال المدنية، وعلى ما يبدو يخصّ سيرةَ خدمةٍ لقائمقام مدينة عقرة؛ الذي شغل في آخر منصبٍ له قائمقام مدينة عقرة، ويدعى (قدري أفندي)، وقد ذكرت الوثيقة أنّه وُلد في مدينة كركوك سنة (١٢٧٥هـ)، ودرس في مدرسة الرشدية في راوندوز، وبعد أنْ بلغَ عمره (١٥) عاماً في سنة (١٢٩٠هـ) درس علوم الصرف والنحو والجغرافيا والتاريخ، وأنّه كان يعرف اللغة الفارسية، ثم ذهب في عام (١٢٩٢هـ) إلى سنجق الحديدة وأصبح مساعداً في إدارة السنجق في عام (١٢٩٥هـ) من شهر ذي الحجة، وكان راتبه الشهري (١٢٠٠) قرشٍ.[١]

(١) في عام (١٣٠٨هـ) أصبح قائمقام قضاء المنتفك وكالةً ولمدة ثلاث سنواتٍ، ثمّ أصبح قائمقام قضاء الشطرة، وفي عام (١٣١٠هـ) نُقل إلى مدينة عقرة وأصبح قائمقام المدينة.

الوثيقة رقم: (I.DH.01305)

الوثيقة المرقمة (ISD. 00116):

تأريخ هذه الوثيقة في (١٦ من شهر شعبان لسنة ١٣٠٩هـ) الموافق (٩ مارس ١٣٠٨).

وموضوع الوثيقة عبارة عن التماسٍ قدّمه طائفة من الكلدان القاطنين في قضاء عقرة داخل ولاية الموصل يطلبون فيه إعادة إعمار كنيستهم التي أصبحت قديمة البناء وآيلةً إلى السقوط، وقد قُدّم الطلب من قبل وكيل بطريرك الكلدان لمنحهم إجازة بناء كنيسةٍ جديدة على عرصةٍ تحت تصرّفهم، وأنّ الطائفة المذكورة ستوفّر مصاريف البناء.

وحسب جواب نَظارة العدلية والمذاهب وقلم الديوان الهمايونيّ وبعد بموافقة حضرة السلطان، صدر الأمر والفرمان (أي الأمر السلطانيّ) لِمَن له الأمر (يقصد بذلك السلطان العثمانيّ). وقد ذُيّلت الوثيقة بإمضاءاتٍ، وأختام مجلس شورى الدولة البالغ عددهم (١٢).

الخاتمة:

تكمن أهمية الوثائق المعروضة في أنّها أماطت اللّثام عن مجموعةٍ من الحقائق الحضارية لمدينة عقرة في العهد العثمانيّ الأخير؛ إذ كان سكانُها من مختلف الطوائف كالكلدان المسيحيين يتعايشون بسلامٍ مع إخوانهم في المدينة من المسلمين وغيرهم من الطوائف، وهذا ما نجده إلى يومنا هذا، إذ كفل دستور إقليم كوردستان وقوانين حكومة الإقليم كافّة حقوق الطوائف الدينية والأقليّات العِرقية. كما بيّنت الوثائق أنّ النظام الإداريّ في المدينة كان يدقّق كلّ شيءٍ، بحيث لم يترك شاردةً أو واردةً لم يحصها أو يتطرّق إلى تدقيق جميع المعاملات لاسيّما الرسوم والضرائب وضبطها بشكلٍ دقيق، إضافةً إلى المتابعة والمراقبة الشديدة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ زيارة مبنى الأرشيف العثمانيّ في إسطنبول للبحث عن الوثائق التي تخصّ مدينة عقرة خلال العهد العثمانيّ تمّتْ بيُسرٍ وسهولة، وأنّ جميع الوثائق المرقمة توجد في ضمن مخازن الأرشيف العثمانيّ، وتحديداً في أرشيف رئاسة الوزراء التركيّة في إسطنبول/ المديرية العامة للوثائق، وقد وجد الباحث أنّ فيها أعداداً هائلةً من الوثائق، وقد تمّ اختيار هذه المجموعة منها لعرضها في هذا البحث.

ومن خلال قراءة الوثائق وتحليلها يتبيّن لنا الآتي:

١. أماطت الوثائق اللثام عن أسماء أعلامٍ وأعيان من مجلس شورى الدولة العثمانيّ.
٢. أفصحت الوثائق عن دقّة التنظيمات الإداريّـة في الدولة العثمانيّة وعائديّة مؤسساتها وارتباطها.
٣. سلّطت الوثائق الضوء على إحصائيّاتٍ وبيانات، ومعطيات الرسوم والضرائب التي كانت تُدفع من قبل السكان لتصل إلى خزينة الدولة.
٤. أوضحت الوثائق وقوف مجلس الشورى إلى جانب طائفة الكلدان في مدينة عقرة من إخوانهم المسيحيين؛ من خلال الموافقة على بناء كنيسةٍ لهم بعد تهالك الكنيسة القديمة.

٥. أوضحت إحدى الوثائق الأهمية البالغة لمدير الوحدة الإدارية (القائمقام)، وما يجب أنْ يتعلّمه من علمٍ ودراسة وتجربة قبل أن يتسلّم منصبه الإداريّ، ثمّ إنّه تنقّل بين أقضيةٍ متعدّدة في جنوب العراق وشماله إلى أنْ استقرّ به الحال في مدينة عقرة.

المصادر والمراجع

١. بعض المواقع الجغرافية لمنطقة عقرة ومحيطها في ضوء المصادر المسمارية بالعصور الآشورية: عامر الجميليّ: مؤتمر عقرة الدولي الأول – عقرة بين ألق الماضي وإشراق المستقبل- كلية العلوم والتربية الأساسية بعقرة – جامعة دهوك، ١٣-١٤ نيسان ٢٠١٤م.

٢. تاريخ الأديرة في منطقة العمادية وعقرة ودهوك: بروين بدري توفيق، أطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدَّمة إلى معهد التاريخ العربي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠١٣م.

٣. دليل ئاكري السياحي: فائق أبو زيد سليم ئاكره يى، وزارة البلديات والسياحة، حكومة إقليم كوردستان العراق، أربيل، ط١، ١٩٩٩م.

٤. روض العلم (معجم عربيّ- سريانيّ): بنيامين حدّاد، منشورات مركز جبرائيل دنبو الثقافي، بغداد، ٢٠٠٥م.

٥. عاشت وهلكت ثم صارت نفطاً: شفيق مهدي: السلسلة العلمية، بغداد، ١٩٨٦م.

٦. العراق قديماً وحديثاً: السيّد عبدالرزاق الحسنيّ، منشورات دار اليقظة العربية، بغداد، ط٧، ١٩٨٢م.

٧. عقرة في رحلة الباليسانيّ الكرديّ: د. عماد عبد السلام رؤوف، مؤتمر عقرة الدولي الأول – عقرة بين ألق الماضي وإشراق المستقبل- كلية العلوم والتربية الأساسية بعقرة – جامعة دهوك، ١٣-١٤ نيسان، ٢٠١٤م.

٨. قاموس كلدانيّ- عربيّ: أوجين منّا، منشورات مركز بابل، بيروت، ١٩٧٥م.

٩. مدن قديمة ومواقع أثرية- دراسة في الجغرافية التاريخية للطرق الشمالي: حنون نائل: دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٩م.

١٠. معجم البلدان: ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبوعبد الله ياقوت بن عبد الله الحمويّ (ت٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.

11. http: //archeo.amu.edu.pl/ugzar/indexen.htm.

PRINT ISSN : 2521 - 4586

Al-Khizanah

A Half Annual Scientific Journal which is Concerned with Manuscripts Heritage and Documents

Issued by
The Heritage Revival Centre
The Manuscripts House of
Al- Abbas Holy Shrine

Issue No. Three, Second Year,
Shaaban 1439 A.H / May 2018

for contact:
mob: 00964 7813004363
00964 7602207013
web: kh.hrc.iq
email: kh@hrc.iq